أفضل أيام الدنيا

الحمد لله الذي سهل طريق السعادة للمسلمين، ووعدهم بجزيل الجزاء في العاجلة ويوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل للطاعات مواسم، وأشهد أن محمد عبده ورسوله خصه بالحكمة وجوامع الكلم، أرسله رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، أكمل برسالته نعمة الإيمان والإسلام، وفضله على جميع الأنام، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه من بعده، كانوا يتسابقون إلى فعل الخيرات، وتركوا محبوباتهم من أجل إرضاء رب الأرض والسماوات، ومن اقتفى أثره، وسلك نهجه، واتبع سنته إلى يوم الدين والجزاء، لينالوا بذلك الأجر والوفاء.

وبعد...: أختي الحبيبة اعملي لدنياك بقدر بقائك فيها واعملي لآخرتك بقدر بقائك فيها وإياك والتسويف فالموت أمامك، والمرض يطرقك، والأشغال تتابعك، وحوادث الزمان ستفاجئك، والخلاص بأمان من ذلك كله أن نستعين بالله، ونبادر إلى عمل الصالحات، ونثمن الأيام الفاضلات.

هذه هي الدنيا التي يغرق فيها بعضُ الناس ويُضيّعون الآخرة كلها؛ لينالوا منها بعضَ المتاع وصفها سريعة الفَناء، قريبة الانقضاء، تعِدُ بالبقاء، ثم تخلفُ في الوفاء، إن عُمر الدنيا - واللهِ - قصير، وأغنى غني فيها فقير، واعلمْي أنَّه في يوم من أيام الحياة ستُدْبِر الدنيا وتُقْبل الآخرة، وما كان بعيدًا أضحى قريبًا إنَّ مَن نظَر إلى الدنيا بعين البصيرة، أيْقَنَ أن نعيمَها ابتلاءٌ، وحياتها عَناء، وعيشها نَكَدٌ، وصفوها كدرٌ، خدَّاعة مَكَّارة، بينما أصحابها منها في نعيم وسرور، إذ وَلَّتْ عنهم، صاروا كأنهم أضغاثُ أحلام.

لا تدوم أحوالُها، ولا يسلم من شرّها نُزَّالُها، بينما أهلها في صفاء ورَخَاء، إذا هم منها في كدرٍ وبلاءٍ، وبينما هم في سرور وحبور، إذا هم منها في نكد وغرور، العيش فيها مذموم، وعِزُّها لا يدوم، وفناؤها مَحتوم، تُمَنِّي أصحابَها سرورًا، وتَعِدُهم غرورًا، حتى يأمُلون كثيرًا، ويبنون قصورًا، فتصبح قصورُهم قبورًا، وجَمعهم بورًا، وسَعْيهم هَبَاءً منثورًا، ودعاؤهم ثُبورًا.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: "إنَّ كلَّ مؤمنٍ مسجون مَمنوع في الدنيا من الشهوات المحرَّمة والمكروهة، مُكَلَّف بفِعْل الطاعات الشاقَّة، فإذا ماتَ استراحَ من هذا، وانقلبَ إلى ما أعدَّ الله - تعالى - له من النعيم الدائم، والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصَلَ في الدنيا مع قِلَّته وتكديره بالمنغصات، فإذا ماتَ صارَ إلى العذابِ الدائم، وشقاءِ الأبد".

"إن مشقة الطاعة تذهب، ويبقى ثوابها، وإن لذة المعاصي تذهب، ويبقى عقابها".

إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَدَلاَئِلِ رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِفَاتِ جَلاَلِهِ وَكَمَالِهِ: تَخْصِيصَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ بِمَزَايَا وَفَضَائِلَ، وَهُوَ الْفَائِلُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: 68]، فَقَدْ هَيَّأَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ عَظِيمَةً، وَأَيَّاماً فَاضِلَةً؛ لِتَكُونَ مَغْنَماً لِلطَّائِعِينَ، وَمَيْدَاناً لِتَنَافُسِ الْمُتَنَافِسِينَ، فَهَا هِيَ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ أقبلت عَلَيْنَا، أَيَّامٌ مُبَارَكَاتٌ، وَذَخَائِرُ نَفِيسَاتٌ، وَسُوَيْعَاتٌ جَلِيلاَتٌ، تُضَاعَفُ فِيهَا الأَعْمَالُ، وَتَزْدَادُ فِيهَا الدَّرَجَاتُ، وَيَعْظُمُ فِيهَا الثَّوَابُ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: "وَمَا مِنْ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْفَاضِلَةِ مَوْسِمٌ إِلاَّ وَللهِ تَعَالَى فِيهِ وَظِيفَةٌ مِنْ وَظَائِفِ طَاعَاتِهِ، يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ، وَللهِ فِيهِ لَطِيفَةٌ مِنْ لَطَائِفِ نَفَحَاتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَعُودُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ، فَالسَّعِيدُ مَنِ اغْتَنَمَ مَوَاسِمَ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ، وَتَقَرَّبَ فِيهَا إِلَى مَوْلاَهُ

بِمَا فِيهَا مِنْ وَظَائِفِ الطَّاعَاتِ، فَعَسَى أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّفَحَاتِ، فَيَسْعَدَ بِهَا سَعَادَةً يَأْمَنُ بِهَا مِنَ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفَحَاتِ".

قال رسول الله -ﷺ-: «افْعَلوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وتَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فإنَّ للهِ نَفَحاتٍ من رحمتِهِ، يُصِيبُ بِها مَنْ يَشَاءُ من عبادِهِ، وسَلوا اللهَ أنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وأنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ» السلسة الصحيحة

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾

قال السعدي – رحمه الله -: هذه الآيات – فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحداً ليس له من الأمر والاختيار شيء".

لماذا هذا الاختيار والتخصيص؟ للأشخاص، والأزمان، والأماكن، والأوامر؟

⇦ابتلاء للعباد هل يعظمون ما عظم الله، ويحبون ما أحب الله، ورحمة لهم ليضاعف لهم الثواب، ويغسلهم من الذنوب والسيئات، ويعلي لهم الدرجات.

☜ولا بد من استجلاب محبة الله بمحبة ما يحب، وبغض ما يبغض، يعمل العمل محبا لله مخلصا له ومتبعا لرسول الله -ﷺ-.

لكي ندرك عطايا الله وهباته من مضاعفة الاجور ومغفرة الذنوب، ماذا يجب أن يكون في قلوبنا؟

❶الاستعانة والتضرع الى الله أن يوفقنا للإخلاص في العمل الصالح، ويتعلق قلبي بالله ان يبارك لي في هذه الأيام، وأن يوفقني لاغتنامها.

❷ولا بد ان نتوسل الى الله إن يشرح صدورنا لمتابعة السنة في الزمن الفاضل.

❸ونتوسل الى الله ان يطرد عنا الهوى، فكم اسير للهوى قد سجن بعيدا عن ربه.

✉قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :(انى بليت بأربع ما سلطوا الا لجلب مشقتى وعنائى إبليس والدنيا ونفسي والهوى، كيف الخلاص وكلهم أعدائي).

✉العبد يخاف من هواه ان يعطله في الزمن الفاضل، فيتوسل الى من يملك قلبه ان يصرف عنه الهوى في الزمن الفاضل.

✉ويجب أن نعلم ونحن مقبلين على الزمن الفاضل أن قلوبنا هي سبب صلاح أعمالنا، فندعوا الله ان نكون من أهل التقوى، وان يكون تقوانا في كل وقت وزمان ومكان لا يتبدل ولا يتغير.

✉ما معنى التقوى، الذي يجب أن يصحبنا في كل زمان وخاصة الفاضل منه:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل.

وقال طلق بن حبيب رحمه الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير.

نتنزل الى ملك الملوك أن يرزقنا التقوى، وخلاصته مما سبق من التعريفات، أن نتقي عذاب الله بفعل الطاعة وترك المعصية.

أصحاب الالباب نالوا السعادة والراحة بتقوى الله، لا راحة ولا لذة الا في طاعته، ولا ذل ولا شقاء الا بمعصيته.

إن من فضل الله على الناس أن يسر لهم مواسم خيرات، يعوضون فيها ما فاتهم من خير في العام كله، ومن هذه الأيام أيامُ عشر ذي الحجّة، فهي أيامٌ معظّمة في شرع الله، لها خصوصيّة في مزيد الطاعة والإحسان، ويكفي في فضلها وكرمها أن الله أقسم بها وهو سبحانه لا يقسم إلا بعظيم من خلقه، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: 1، 2]

قال جابر -رضي الله عنه-أنه قال: إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر.

والعشر هي خاتمةُ الأشهر المعلومات، أشهرِ الحج التي قال الله فيها: (الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) [البقرة: 197]، وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة.

والعشر من جملة الأربعينَ التي واعدها الله -عز وجل- لموسى -عليه السلام-، قال الله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) [الأعراف: 142].

وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج :28]
والمراد بالأيام المعلومات هي عشرُ ذي الحجّة.

قال ابن كثير: عن ابن عباس: الأيام المعلومات: أيام العشر، وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به.

وقال قَتادة: (فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ) قال: أيام العشر، والمعدودات: أيام التشريق.

ودلَّت سنّة رسول الله على فضلِها، وأنَّه يُشرع التنافس فيها في صالحِ العمل، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -ﷺ-:"ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيَّامِ العشرِ قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ فقال رسولُ اللهِ -ﷺ-: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجلًا خرج بنفسِه ومالِه فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ". حسن صحيح

قال ابن حجر في شرحه للحديث: "وفي الحديث تعظيم قدر الجهاد وتفاوت درجاته وأن الغاية القصوى فيه بذل النفس لله، وفيه تفضيل بعض الأزمنة على بعض كالأمكنة، وفضل أيام عشر ذي الحجة على غيرها من أيام السنة."

وفي صحيح بخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي -ﷺ- قال: "ما العَمَلُ في أيَّامٍ أفْضَلَ منها في هذِه؟ قالوا: ولَا الجِهَادُ؟ قَالَ: ولَا الجِهَادُ، إلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بنَفْسِهِ ومَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بشيءٍ".

📝يُرشِدُ النَّبيُّ -ﷺ-: في هذا الحديثِ إلى فَضلِ العملِ الصَّالحِ في العَشْرِ الأوائلِ مِن ذي الحِجَّةِ، وأنَّ أجْرَ العملِ الصَّالحِ فيها يتضاعَفُ ما لا يتضاعَف في سائرِ الأيَّامِ، وأن العملُ الصَّالحُ فيها أفضل من الجهاد؟ إلَّا رجلٌ خرَج مخاطرًا بنفسِه ومالِه في سبيلِ الله ولم يرجع بشيء.

✉إذن العامل في العشرأفضل من المجاهد الذي يرجع بشيء من ماله اونفسه.

قال -ﷺ- "مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ تَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى". البيهقيّ والدارمي

وقال -ﷺ-: "مَا مِنْ أَيَّامٍ يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ فِيهَا بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ." رواه الطبراني باسناد حسن

✉وهذه الأيام المباركة أفضل أيام الدنيا؛ فعن جابر عن النبي -ﷺ- قال:"أفضلُ أيَّامِ الدُّنيا العشرُ -يعني عشرَ ذي الحجَّةِ- قيل ولا مثلُهنَّ في سبيلِ اللهِ قال ولا مثلُهنَّ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجلٌ عفَّر وجهَه بالتُّرابِ". رواه البزار وابن حبان وصححه الألباني.

⇦وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان يُقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم". [رواه البيهقي]

⇦وعن الأوزاعي قال: "بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله يُصام نهارها ويُحرس ليلها إلا أن يُختص امرؤ بشهادة" [رواه البيهقي].

✉وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا دَخَلَ أَيَّامُ الْعَشْرِ اجْتَهَدَ اجْتِهَادًا شَدِيدًا حَتَّى مَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

📝لقد تضمنت هذه الأيام الشريفة، والليالي الكريمة يوم عرفة وما أدراك ما عرفة إنه اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم به علينا النعمة، فشرع أعظم رسالاته وأكملها، وأفضل السبل وأنبلها، وأرسل أفضل رسله، وأكرم أنبيائه من خلقه، فقال تقدست أسمائه وجلت صفاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

روى البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب، عن عُمر بن الخطَّاب -رضي الله عنْه -أنَّ رجلاً من اليهود قال له: يا أميرَ المؤمنين، آيةٌ في كتابِكم تقرؤونَها، لو علينا -معشرَ اليهود -نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أيّ آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، قال عمر: "قد عرفْنا ذلك اليوم، والمكان الَّذي نزلت فيه على النَّبيّ -ﷺ- وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة.

📓في هذا اليوم الأغر يجتمع الحجاج من كل أنحاء العالم، وأصقاع البلاد يلبسون زياً واحداً ويلبون تلبية واحدة، ويتحقق فيهم قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] فلا فرق بين أعجمي ولا عربي، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات:13]

📓ولفضل هذا اليوم قال رسولنا الكريم (الحج عرفة)، وبين أن صيامه لغير الحاج يكفر سنتين، ويمحو ذنوب العباد.

قال رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-:"صِيامُ يومِ عَرَفَةَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ، وصِيامُ يومِ عاشُوراءَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التِي قَبْلَهُ" الجامع الصغير، صحيح ابن حبان

وتعتق في هذا اليوم الرقاب، قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ:"مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ". رواه مسلم

فلمَّا كان الحجُّ عَرفةَ، والحجُّ يَهدِمُ ما قبلَه، كانَ ما في يَومِ عَرفةَ مِن الخَلاصِ عنِ العذابِ، والعِتقِ منَ النَّارِ أكثرَ ما يَكونُ في سائرِ الأيَّامِ، وإنَّه سُبحانَه وتَعالى لَيدنو ثُمَّ يُباهي بمنْ بِعرفةَ المَلائكةَ؛ فاللهُ سُبحانَه وتَعالى يُباهي بأَهلِ عَرفةَ المَلائكةَ، مَعناه: يُظهرُ فَضلَهم لهم وُيريهِم حُسْنَ عَملِهم ويُثني عَليهم عِندَهم، وأَصلُ البَهاءِ الحُسنُ والجَمالُ. فيقول: ما أَراد هَؤلاءِ؟ أي: أيُّ شيءٍ أَراد هَؤلاءِ حيثُ تَركوا أَهلَهم وأَوطانَهم وصَرَفوا أَموالَهم وأَتعَبوا أَبدانَهم؟ أي: ما أَرادوا إلَّا المَغفرةَ والرِّضا، وَهذا يَدُلُّ عَلى أَنَّهم مَغفورٌ لَهم لأنَّه لا يُباهى بأَهلِ الخَطايا والذُّنوبِ إلَّا مِن بَعدِ التَّوبةِ والغُفرانِ. الدرر السنية

فلنبادر الى صيامه، واغتنام اوقاته، بما ينفع ويفيد، ويدخر لما بعد الموت. الألوكة

بأي شيء نستقبل عشر ذي الحجة؟ حري بالمسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة، ومنها عشر ذي الحجة بأمور:

❶-التوبة الصادقة: فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى:(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[النور: 31]

قال -ﷺ-:"ما من أحدٍ من الناسِ إلا وقد أَخطأَ أو هَمَّ بخطيئةٍ ليس يَحيَى بنَ زكريا". رواه أحمد

قال ﷺ:"كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ". أخرجه الترميذي، وأحمد

عَنِ النبيِّ -ﷺ-، فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قالَ:"يا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ". رواه مسلم

❷-العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام: فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهيأ له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:69]

قال رسول الله ﷺ:"إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ ونذكر منها... عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالًا وعلمًا فَهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ ويصلُ فيهِ رحمَهُ ويعلمُ للَّهِ فيهِ حقًّا فَهذا بأفضلِ المنازلِ وعبدٍ رزقَهُ اللَّهُ علمًا ولم يرزقْهُ مالًا فَهوَ صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فأجرُهما سواءٌ". صحيح الترميذي

❸- البعد عن المعاصي: فكما أن الطاعات أسباب للقرب من الله تعالى، فالمعاصي أسباب للبعد عن الله والطرد من رحمته، وقد يحرم الإنسان رحمة الله بسبب ذنب يرتكبه فإن كنت تطمع في مغفرة الذنوب والعتق من النار فأحذر الوقوع في المعاصي في هذه الأيام وفي غيرها؟ ومن عرف ما يطلب هان عليه كل ما يبذل. (صيد الفوائد)

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [التحريم:8]

قال تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) [نوح:10-12].

✉سؤال هل هناك مضاعفة للسيئات كما هو الحال في مضاعفة الحسنات في الأزمان الفاضلة مثل شهر رمضان والعشر الأول من ذي الحجة؟

⇦قال ابن باز رحمه الله: فالسيئات لا تضاعف من جهة العدد، لا في رمضان ولا في الحرم ولا في غيرها، بل السيئة بواحدة دائمًا، وهذا من فضله سبحانه وتعالى وإحسانه، ولكن سيئة الحرم وسيئة رمضان وسيئة عشر ذي الحجة أعظم إثمًا من السيئة فيما سوى ذلك، .... فهي تضاعف من جهة الكيفية لا من جهة العدد، أما الحسنات فهي تضاعف كيفية وعددًا بفضل الله سبحانه وتعالى.

📝 فكل سيئة يقترفها العبد تكتب سيئة من غير مضاعفة قال تعالى:(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) [الأنعام: 160].

✉لكن السيئة تعظم أحيانا بسبب شرف الزمان أو المكان أو الفاعل، فالسيئة أعظم تحريما عند الله في الأشهر الحرم، وفي عشر ذي الحجة لشرفها عند الله، والخطيئة في الحرم أعظم لشرف المكان.

📋قال ابن القيم رحمه الله: تضاعف مقادير السيئات لا كمياتها، فإن السيئة جزاؤها السيئة، لكن سيئة كبيرة وجزاؤها مثلها وصغيرة وجزاؤها مثلها، فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه. اهـ.

📋فضل عشر ذي الحجة:

❶- أن الله تعالى أقسم بها: وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: 1، 2].

❷- أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره: قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج:28]

⇦وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

❸- أن رسول الله -ﷺ- شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا: فعن جابر رضي الله عنه عن النبي -ﷺ- قال :(أفضلُ أيَّامِ الدُّنيا العشرُ قيل ولا مثلُهنَّ في سبيلِ اللهِ قال ولا مثلُهنَّ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجلٌ عفَّر وجهَه بالتُّرابِ) صححه الألباني

❹- أن فيها يوم عرفة: ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً.

📋قال الحافظ ابن حجر: واختلف في المراد بالحج الأصغر فالجمهور على أنه العمرة وقيل الحج الأصغر يوم عرفة والحج الأكبر يوم النحر، لأن فيه تكتمل بقية المناسك. انتهى

☜الحج الأكبر هو يوم النحر، أخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ اللهِ -ﷺ- "وقفَ يومَ النحرِ بينَ الجمراتِ في الحجةِ التي حجَّ فقالَ: أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: يومَ النحرِ قال: هذا يومُ الحجِّ الأكبر". الصحيح المسند

عن علي بن ابي طالب سألتُ رسولَ اللَّهِ -ﷺ- "عن يومِ الحجِّ الأكبرِ فقالَ: يومُ النَّحر". صحيح الترميذي

⇦ وسمي يوم النحر: يوم الحج الأكبر؛ لما في ليلته من الوقوف بعرفة، والمبيت بالمشعر الحرام، والرمي في نهاره، والنحر، والحلق، والطواف، والسعي من أعمال الحج، ويوم الحج هو الزمن، والحج الأكبر هو العمل فيه، وقد ورد ذكر يوم الحج الأكبر في القرآن، قال تعالى: (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ...) [التوبة:3]

❺- أن فيها يوم النحر: وهو أعظم الأيام عند الله، قال ﷺ "إنَّ أعظمَ الأيَّامِ عندَ اللَّهِ تبارَكَ وتعالَى يومُ النَّحرِ ثمَّ يومُ القُرِّ". صحيح أبي داود

⇦ويوم القر هو اليوم الذي يلي يوم النحر أي يوم الحادي عشر من ذي الحجة، لأن الناس يقرون أي يستقرون فيه بمنى بعد أن فرغوا من طواف الإفاضة والنحر واستراحوا. إسلام ويب

⇦ملاحظة: ومن السنن المستحبة لمن أراد أن يضحي أن لا يأخذ من شعره أو ظفره في تلك العشر الأوائل، جاء عن أم سلمة "مَن كانَ له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فإذا أُهِلَّ هِلالُ ذِي الحِجَّةِ، فلا يَأْخُذَنَّ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أظْفارِهِ شيئًا حتَّى يُضَحِّيَ". رواه مسلم والحكمة من ذلك أن يشارك الحجاج في بعض مناسكهم وأعمالهم لئلا يغيب عن خاطره عظمة تلك الأيام، وفضل ما قام به سيد الأنام، والأمر خاصة بالمضحي لا المضحى عنه من أهل بيته، والأمر فيه سعة وتيسير، ورحمة لا تعسير.

❻- اجتماع أمهات العبادة فيها: قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره).

السؤال: أيهما أفضل العشر الأواخر من رمضان، أم عشر ذو الحجة؟ قال ابن باز رحمه الله: العشر الأواخر من رمضان أفضل من جهة الليل؛ لأن فيها ليلة القدر، والعشر الأول من ذي الحجة أفضل من جهة النهار؛ لأن فيها يوم عرفة، وفيها يوم النحر وهما أفضل أيام الدنيا، هذا هو المعتمد عند المحققين من أهل العلم.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟ فقال: أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة [مجموع الفتاوى (25/287)]

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على كلام شيخه: وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب وجده شافياً كافياً، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، وفيها يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية، وأما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول الله يحييها كلها، وفيها ليلة خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فمن أجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه أن يدلى بحجة صحيحة. بدائع الفوائد

لنبادر إلى استغلال الفرص، واغتنام الأوقات الفاضلة، إن ما نقوم به من أعمال البر والإحسان والصدقة، والمعروف ونوافل العبادة، وخاصة في أيام العشر أثمن من جمع الذهب الخالص قالَ عليه الصلاة والسلام: (العِبَادَةُ في الهَرجِ كَهِجرَةٍ إِلَيَّ) رَوَاهُ مُسلِمٌ، وقد دعانا الله إلى المسابقة في أمور الآخرة، وتحصيل الثواب في العاجلة فقال ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

أفضل الأعمال في العشر:

❶ الحج وزيارة بيت الله الحرام، وقد بين الله أن الحج فرض على كل من استطاع إليه سبيلا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 97].

ويكفي في فضل الحج ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال -ﷺ-: "العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ". صحيح البخاري

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول اللَّه -ﷺ-: "تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ، فإنَّهما ينفِيانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ وليسَ للحجِّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنَّةِ) صحيح النسائي

والمَبرورُ هو الذي لا يُخالِطهُ إثمٌ، أو هو المُتقبَّلُ الخالصُ الخالي مِنَ الرِّياءِ والسُّمعةِ، وقد تَحقَّقتْ فيه أركانُه وواجباتُه، وهذا الحجُّ جَزاؤُه عندَ اللهِ تعالَى هو الجنَّةُ.

❷من الأعمال الصالحة في هذه الأيام المباركة أيتها المباركات التكبير...

⇦التكبير -المطلق-وهو مشروع من أول يوم في ذي الحجة إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة؛ لقول الله سبحانه:﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[الحج: 28]،

⇦أما التكبير المقيد بأعقاب الصلوات فيبدأ عقب صلاة الفجر يوم عرفة، ويستمر إلى ثلاث وعشرين صلاة، يعني إلى رابع أيام العيد، حيث ينتهي التكبير عقب صلاة العصر من ذلك اليوم. والله أعلم.

أما الحاج فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير، وصيغة التكبير (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. أو يثلث: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) ....

وقال الإمام الشافعي رحمه الله ، في بيان صيغة التكبير :" يَقُولُ: " اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ " حَتَّى يَقُولَهَا ثَلَاثًا، وَإِنْ زَادَ تَكْبِيرًا فَحَسَنٌ، وَإِنْ زَادَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاَللَّهُ أَكْبَرُ".

والحاصل: أن الأمر في ألفاظ التكبير والذكر، والصلاة على النبي -ﷺ-، أيضا، أيام العيدين: واسع ، إن شاء الله ؛ لعموم الأدلة كما سبق ، ولم يخص الرسول صلى الله عليه وسلم صيغة دون أخرى .

وقد خَصَّ رسول الله -ﷺ- عبادة الذِّكْرِ "التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" بالاسم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلاَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ

هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنْ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ» [رواه أحمد]، فدَّلَّ الحديث على عظيم أجرها وجزيل ثوابها، بالرغم من أنها أخَفُّ عبادة على المسلم.

قال ابن القيم : ثم كبَّره بالتعظيم و الإجلال وواطأ قلبه لسانه في التكبير فكان الله أكبر في قلبه من كلِّ شيء ، و صدَّق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله تعالى يشغله عنه ، فإنه إذا كان في قلبه شيء يشتغل به عن الله دلّ على أن ذلك الشيء أكبر عنده من الله فإنه إذا اشتغل عن الله بغيره ، كان ما اشتغل به هو أهم عنده من الله ، و كان قوله " الله أكبر " بلسانه دون قلبه ؛ لأن قلبه مقبل على غير الله ، معظما له ، مجلاً ، فإذا ما أطاع اللسان القلب في التكبير ، أخرجه من لبس رداء التكبّر المنافي للعبودية ، و منعه من التفات قلبه إلى غير الله ، إذا كان الله عنده و في قلبه أكبر من كل شيء فمنعه حقّ قوله : الله أكبر والقيام بعبودية التكبير من هاتين الآفتين ، اللتين هُما من أعظم الحُجب بينه و بين الله تعالى.

❸ومن الأعمال الصالحة تلاوة كتابه وقراءة آياته، والتغلغل في مقاصده والتأمل في مراميه، وقد جعل الله الشفاء والرحمة فيه والهداية والنور،﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: 82] وقال تعالى:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29]

❹الصلاة: وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات،"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ". صحيح بخاري

❺ الصيام: وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي:" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له، إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أجْزِي به ". متفق عليه

✉ويسن صوم الثمانية أيام قبل يوم عرفة، كما صرح به في "الروضة" سواء في ذلك الحاج وغيره، أما الحاج فلا يسن له صوم يوم عرفة، بل يستحب له فطره ولو كان قوياً، اقتداءً بالرسول -ﷺ-.

✉وقد خص النبي -ﷺ- صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: "صِيامُ يومِ عَرَفَةَ، إنِّي أحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ". رواه مسلم

❻الصدقة: وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة:254]

وهناك أعمال أخرى يستحب الإكثار منها في هذه الأيام بالإضافة إلى ما ذكر، نذكر منها على وجه التذكير ما يلي:

قراءة القرآن وتعلمه ـ والاستغفار ـ وبر الوالدين ـ وصلة الأرحام والأقارب ـ وإفشاء السلام وإطعام الطعام ـ والإصلاح بين الناس ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وحفظ اللسان والفرج ـ والإحسان إلى الجيران ـ وإكرام الضيف ـ والإنفاق في سبيل الله ـ وإماطة الأذى عن الطريق ـ والنفقة على الزوجة والعيال ـ وكفالة الأيتام ـ وزيارة المرضى ـ وقضاء حوائج الإخوان

ـ والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ـ وعدم إيذاء المسلمين ـ والرفق بالرعية ـ وصلة أصدقاء الوالدين ـ والدعاء للإخوان بظهر الغيب ـ وأداء الأمانات والوفاء بالعهد ـ والبر بالخالة والخالـ وإغاثة الملهوف ـ وغض البصر عن محارم الله ـ.....وغيرها

✉صيام يومي العيدين محرم، ويدل لذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:"نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ". متفق عليه

⇦وقد أجمع العلماء على أن صومهما محرم.

⇦كما يحرم صيام أيام التشريق وهي الأيام الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، من شهر ذي الحجة) لقوله ـﷺ:"أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكرٍ لله". رواه مسلم

⇦لكن يجوز صوم أيام التشريق للحاج الذي لم يجد الهدي فعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا: "لَمْ يُرَخَّصْ في أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ، إِلَّا لِمَن لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ". رواه البخاري

✉قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " يجوز للقارن والمتمتع إذا لم يجدا الهدي أن يصوما هذه الأيام الثلاثة حتى لا يفوت موسم الحج قبل صيامهما، وما سوى ذلك فإنه لا يجوز صومها، حتى ولو كان على الإنسان صيام شهرين متتابعين فإنه يفطر يوم العيد والأيام الثلاثة التي بعده ثم يواصل صومه " فتاوى رمضان ص 727

✉الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أيها الناس: للحج ارتباط كبير بيوم القيامة من حيث ضخامة الأعمال، وشدة الزحام، وكثرة الجمع؛ حتى إن السورة المسماة بسورة الحج، وقد تضمنت خبر بناء البيت، وأذان الخليل بالحج، وذكر الضحايا والهدايا، وأعمال القلوب في المناسك. هذه السورة العظيمة قد افتتحت بمشاهد القيامة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج: 1-2]

📝إن من تأمل الحج وجده مذكر بيوم القيامة؛ فالحاج مسافر سفرا مخوفا، لا يدري ما يعرض له في سفره ولا في أداء مناسكه؛ ولذا تأكد في حقه أن يؤدي الحقوق التي عليه، وأن يكتب وصيته... والإنسان في الدنيا في سفر، والمخاطر تحيط به، والمنايا تتخطفه، فإن أخطأه بعضها أصابه غيرها، ونحن نرى كثرة موت الفجأة في الناس.

📝وبالإحرام يتجرد الحاج من ثيابه، ويلبس الإزار والرداء، فيترك ثياب الزينة والطيب، ويمسك عن شعره وأظفاره، وهذا يذكره بالموت والكفن، وترك الدنيا وزينتها، والوحدة في القبر، فلا رفيق له فيه سوى عمله؛ فإما عمل صالح يؤنسه ويسعده، وإما عمل سيء يزعجه ويعذبه، ويتذكر الحاج وهو في هذه الحال قول الله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام: 94].

📝والحج من العبادات التي تكثر فيها التنقلات بحسب الزمان والمناسك، بل لا يوجد عبادة من العبادات مثل الحج في كثرة التنقل؛ فانتقال من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن عمل إلى آخر... انتقال من الميقات إلى الحرم، ومن الحرم إلى منى ثم إلى عرفة، ثم العودة إلى مزدلفة فمنى فالحرم.

سمتها البارزة كثرة التنقلات، وعدم الاستقرار، حتى إن أيام الحج الخمسة لمن تعجل أو الستة لمن تأخر كأنها أشهر وليست أياما معدودة...يرى الحاج وهو يتنقل في المشاعر لأداء المناسك وإظهار الشعائر مئات الألوف يسيرون معه، وألوف أخرى قد سبقته، وألوف أخرى تأتي بعده، في حال من التنقل والازدحام تحرك القلوب رهبة مما يخشى حدوثه، ورغبة في إكمال النسك... وهذا يذكر بما يكون من تنقلات كبرى يوم القيامة في يوم وصف بأنه كألف سنة، والإخبار عن ذلك جاء في سورة الحج في قول الله تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)[الحج: 47]، ووصف في سورة المعارج بأنه كخمسين ألف سنة.

إن تنقلات يوم القيامة تشمل تنقلات المكان والأحوال؛ فمن بعث القبور إلى أرض المحشر، ودنو الشمس من رؤوس الخلق، وشدة الزحام، وكثرة العرق، واشتداد الكرب، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف، ثم الحساب، فعرض الصحف، ووزن الأشخاص والصحف والأعمال، والمرور على الصراط، وغير ذلك من تنقلات إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

واختار الله تعالى لأداء المناسك بقعة هي من أشد بقاع الأرض حرارة، وهذا يذكر الحجاج بحر يوم القيامة، وقرب الشمس من رؤوس الخلق، وغزارة العرق فيه.

ولكن رغم طول يوم القيامة، وشدة الحساب فيه، وكثرة أحواله وانتقال الناس من مرحلة إلى أخرى؛ فإن من الناس من لا يحسون بطوله؛ لأنهم مستظلون بظل الرحمن سبحانه، قد يسر الله تعالى حسابهم، ويمن كتابهم، وثقل ميزانهم، فيكون يوم القيامة عليهم كنصف نهار فقط، فيقيلون في الجنة كما قال الله تعالى:(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا)[الفرقان: 24]، وبين سبحانه يسر الحساب عليهم فقال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا)[الإنشقاق: 7-9]، بخلاف أهل الكفر والنفاق الذين يعسر عليهم الحساب كما قال تعالى:(وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا)[الفرقان: 26]، وقال تعالى: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) [المدثر: 9-10].

وفي أداء المناسك يلاحظ الافتراق بين الناس؛ فمنهم من يعينه الله تعالى على أداء النسك بيسر وخشوع ولذة، حتى تنتهي أيام الحج ولما يشعر بها، ويجد لذتها وحلاوتها في القرب من الله تعالى، والتقلب في أنواع العبادات، ومنهم من تمضي عليه أيام المناسك وهو في جدال وشقاق وخصام، لم يستشعر حرمة الزمان والمكان، ولا عظمة ما هو متلبس به من الإحرام...

وحين يرى الحاج تدفق الجموع على عرفة لتحقيق ركن الحج الأعظم، ثم يبصر امتلاء صعيد عرفة بهم وقد استقروا بها، وهم يجأرون إلى الله تعالى بالدعاء يتذكر الجمع العظيم، والموقف الكبير بين يدي الله عز وجل، حين «يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ»صحيح مسلم، فيا له من موقف عظيم يجمع الله تعالى فيه كل الخلق من آدم عليه السلام إلى آخر رجل من هذه الأمة، فحق على من شاهد جمع الحجيج تقف في عرفة أن يستشعر موقف القيامة(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) [الحاقة: 18].

وعندما يودع الحجاج البيت الحرام، ويخرجون من مكة إلى ديارهم يحسون براحة عظيمة، وسعادة كبيرة بسبب أدائهم للمناسك، وتحمل المشاق والزحام في سبيل ذلك، ويلهجون بحمد الله تعالى على ذلك... يشترك في ذلك كل الحجاج تقريباً، لا يكاد أحد قد حج إلا ويحس بهذا الإحساس، ويشعر بتلك اللذة، وكذلك أهل الجنة إذا جاوزوا الحساب، واجتازوا الصراط؛ علموا أنهم قد فازوا

فوزا كبيرا، وحازوا ثوابا عظيما، حينها فقط يحسون براحة لن تنقطع، وسعادة لا تنفد، وقد قيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى: متى الراحة؟ فقال: الراحة عند أول قدم تضعها في الجنة، (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور: 25-28].

خِتامًا: كم ضيّعتي من عُمرك في هذه السنة؟ وكم قصرتَي في رمضان وأسرفتي من بعده؟

اليوم نحن على مشارف أيام عظيمة، إن استطعتَي أن تستثمريها فافعلي... (انوِ أن تجعلي هذه العشر ميلادًا لقلبك وازرعي بداخلك رغبة الوصول إلى أعلى المراتب) فلتكن هذه العشر وارفه بالنّور والجَمال، مليئة بالصالحات، لا تخرجي منها خالية (صفر اليدين) فالموفق من شدّ حبال الهِمّة في مواسم الطاعات وخرج منها رابحًا، سعيدا.... ذنوبك التي تعصر فؤادك وتهزك من تلابيب ثياب الخطايا هذه العشر فرصتك لتتوبي وتغسلي آثامك هذه العشر أتتك لتجددي إيمانك وتبددّي أيام الغفلة والشقاء" أتتك لتنعمي فيها بالعبادة وتتلذذي، لتعلمي أنّ كل طاعة تفعليها سيزول تعبها ويبقى أجرها وعند الصباح يحمد القوم السري.... ألحي / أظهر إفتقارك / إعترفي بتقصيرك ماخابَ من أدمن طرق بابه بالرجاء والإبتهال إن عجزت جوارك وجعلتك في قوافل المُتأخرين فلا تدع لسانك يفتر عن اللهج بالذكر لتكوني من السابقين...هلّلي / كبّري / استغفري / حوقلي / صلّ على الحبيب عليه الصلاة والسلام.